الأدب والفن في أسبوع

اعتراف :

من نحو أسبوعين كنت قريباً من المذياع ، فاسترعى انتباهي أحد المذيعين يقدم الأستاذ على الجارم بك ليلقي قصيدة «السودان» فتوقعت أن يكون الأستاذ الجارم قد حفزت شاعريته قضية الوادي الماثلة في مجلس الأمن ، فاستجابت بقصيدة جديدة لدواعي الظروف القومية الحاضرة . وأصغيت إليه وهو يقول بإلقائه المرنم الجميل :

يا نسمة رنحت أعطاف وادينا قفي نحييك أو عودي فحيينا

واستمر في إنشاد القصيدة ، ينتقل من التغني بالنسمة التي هبت من جنوب الوادي فأثارت شوقه إلى السودان ، إلى الحديث عن الرحيل في القطار إلى أسوان ، ومنه إلى الباخرة النيلية ، ثم إلى القطار في صحراء العتمور ، حتى يصل إلى الخرطوم ، فيشيد بأهلها الذين تجمعنا بهم شتى الروابط .

قصيدة جميلة ولا شك ، ولكن هل توصف بالبلاغة التي قال البلاغيون إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؟ والسؤال بعبارة أخرى : هل هذه القصيدة تطابق مقتضى الحال الحاضرة بمعنى أنها تعبر عن قضية السودان كما هي مثارة الآن من حيث وحدة الوادي ، وإنكار الإنجليز لها ، وحجتنا ، وأباطيلهم ، ومن حيث شعور الشاعر إزاء ذلك وتصويره له ؟

إنها ليست كذلك ، ولكن الجارم شاعر بليغ ، فما السر إذن ؟

السر أن القصيدة قديمة ، قالها الجارم منذ سنين في أثناء زيارته للسودان ، وألقاها في نادي الخريجين بالخرطوم ، وذهب كاتب هذا إلى السودان على أثر ذلك ، فسمع حديث هذه القصيدة هناك ، وحسن وقعها من نفوس إخواننا السودانيين وترديدهم لأبياتها .

وقد يمكن أن يمر الإنسان بأمر إذاعتها في الوقت الحاضر مر الكرام ، ملتمساً له أدنى الملابسات ، وملتمساً للشاعر عذراً من الرغبة في التمتع بالكسل ...

ولكن حدث في يوم الأحد الماضي أن سمعت بالمذياع نفس القصيدة مرة أخرى بنفس الصوت والإلقاء ، صوت الجارم وإلقائه الجميل ، وقد تكون أذيعت في وقت آخر ولم أسمعها ، وقد تكون سجلت ، وستتكرر إذاعة السجل .

وقد نستسيغ تكرار السجلات الغنائية ، ولكن لم تكرر إذاعة هذه القصيدة ، وهي على ما ذكرنا من القدم وعدم ملاءمة الحال الحاضرة ، ولم تغنّ ، ولم « يغردها » فتحي بك ..؟

أراك تهم أن تقول غردها الجارم !

الشعر وقضية الوادي:

وقد كان لقضية الوادي في بعض شعراء الشباب بعض العزاء ، فقد أذاع الأستاذ محمود حسن اسماعيل قصيدة ذات نبض وحياة ، عنوانها « النيل ، على ضوء قضية الوادي » ويشتغل الآن عبد الوهاب بتلحينها لغنائها وتسجيلها للاذاعة

وإذا كان العيد ، كما قالت الكاتبة البليغة السيدة متيبة الكيلاني في مقالها بالرسالة ، يأتي « فيكون بين العيد وسادته ليلة العيد حديث ونجوى ؛ فبين معيد ووسادته من ثورات النفس ودوار الرأس وجهد الخاطر الكليل ما بين معيد ووسادته من بسمة الأمل رهشة الرجاء وتطلق الوجه » فيختلف الشعور به باختلاف الأفراد ، وإذا كانت الأمم في ذلك كالأفراد ، فإن شعور الأمة بالعيد الفائت كان مشوباً بالتطلع إلى ما عساه أن يتم في عيدها الحاضرة ، ولم يعدم هذا الشعور من يعبر عنه ، فقد قال الأستاذ فريد عين شوكة في قصيدة له بالأهرام :

بليـة من بلايا الاحتلال وما لديه إلا جنـايات وإرهاق
وحسبه ما دهانا من معاهدة بها قيود ثقيلات وأطواق
رمت بنا في لظى حرب مروعة ما كان فيها لنا عير ولا ناق
حتى إذا وضعت أوزارها جحدت
جهودنا في سبيل النصر أرفاق
وأنكروا ما احتملنا في تحللهم وكم بلينا وذقنا مثل ما ذاقوا
بل يدعي القوم أن كانوا لناوزراً من الغزاة ! فيا للحق يهراق

يامصر ، ماالعيد إلا أن يطالعنا يوم الجلاء له حسن وإشراق
وأن يوحد وادى النيل مملكة يضمها علم للنيـــل خفاق

زيتونه فى قرطاس من الشعر :

كتب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى أخبار اليوم مقالا طريفاً بعنوان « زيتون فى قرطاس من الشعر » قال فيه : إنه ضاقت به الحال فى بعض سنوات الحرب العالمية الأولى ، فاضطر إلى بيع بعض ما لديه من الكتب بالأقة ، وكان فى جملة مابإع النسخ الباقية عنده من مؤلفاته ، واتفق يوماً أن اشترى من بقال زيتوناً ، فلما أفرغه فى البيت وجد قرطاس الزيتون منزوعاً من ديوانه الذى كان فيما بيع بالأقة !

ثم قال : « من ذلك اليوم بدأ رأيى يتغير فى الأدب وقيمته وما قيمة أدب مصيره إلى دكاكين البقالين ومن إليهم ؟ وما زلت أكتب وأنشر ، وإن لى لنصيبى من الغرور الذى لاتطاق الحياة بغير قدر كاف منه ، ولكنى حلت شيئاً فشيئاً حتى صرت أشبه بنجار لا يأسف على حجرة جلوس أو مائدة باعها ، وقد خلت نفسى من ذلك الشعور (بالأبوة) لما أكتب ، فليس يعنينى مصيره » إلى أن قال بعد ما أبان أنه غير راض عما كتبه : « وأتعجب كيف كتبت هذا التخريف ؟ وأسائل : لماذا عجلت ؟ لم لم أنتظر حتى أنضج ؟ »

ورجل كالمازنى له ماضيه فى الأدب ، من حقنا أن نتعقبه ، فلا ندعه يقول ما يقول عن نفسه دون أن نتبين وجه الحق فيه وإن ما كتبه وألفه أصبح جزءاً هاماً من أدب العصر ، فإذا تخلى عن « أبوته » فإن له أقارب آخرين من حقهم أن يروا فيه وفى أبيه التخلى ما يرون ...

ولكن ... أرانى أزلق إلى فخ .. وهاهو ذا « المكار » يبتسم ، فقد أوشكت على الوقوع !

لقد ذكرت ما كان قد قاله له الأستاذ العقاد ، بصدد براءته من شعره ، وكنت قد تحدثت عن ذلك فى عدد مضى من الرسالة قال العقاد إن المازنى مكر بإنكار الشاعرية على نفسه ليتسابق إليه الناس ويضموه فى مكانه من الطليعة ، ولكنه انتظر عاقبة مكره دون جدوى حتى الآن ...

فهل هى « مكرة » أخرى .. ؟ على أن الأستاذ المازنى ليس بحاجة إلى هذا المكر بالإضافة إلى ما سلف من أدبه ، ولعله يشعر بالحاجة إليه الآن .. فقد نضج قبل اليوم بزمان ، ولم يعجل كما يقول ، وليته يعود إلى ما يدعيه من « العجلة وعدم النضج » وإن كنت أود ألا يعود إليه الزيتون الأسود فى قرطاس من شعره

تظرف بعض الأدباء :

اعتاد لفيف من الأدباء أن يتلهوا بالتفكير فى أشياء يتوقعون أن تستملح وتستطاب وتعد من طرائف الأدب وفكاهاته . وتلقفها منهم بعض المجلات الفكاهية فتنشرها ليضحك منها من تضحكه أمثالها

رأينا مرة أنهم ألفوا « رابطة الفضوليين » ومرة أخرى كونوا « جماعة الثقلاء » واشترطوا للدخول فى هذه وتلك كذا وكذا من الشروط التى تقطر ، بل تنهمر ، ظرفاً .. وهى تنطبق طبعاً على حضرات المؤسسين .

والناس يقرؤون هذا كله على أنه من نتاج أفكار الأدباء الظرفاء ، وأنهم أبطاله ، أى أنهم ظرفاء ، وفضوليون وثقلاء . .

وآخر ما أسفر عنه ذلك الظرف « عيد ميلاد فقير الحرب » ومن يكون فقير الحرب عند فقراء الأدب غير « الأديب » المحلى بأل التى هى هنا لجنس الأدباء ؟ ! ومن قول أحدهم فى تكريمه « عيد ميلاد فقير الحرب هو عيد ميلاد الأدباء جميعاً » وعلى هذا المنى دار المحتفلون حول أنفسهم ... ثم نهض الفقير صاحب العيد — ممثلا فى أحد الأدباء الظرفاء — يعبر عن فقره ويتحسر على سوء حاله ! وكان هذا سمر الأدباء فى رمضان فى « أحد مقاهى الحى اللاتينى القاهرى » الذى استحق أن ينشر بإحدى المجلات فى عدد خاص بالعيد ..

لا أنكر على أحد أن يمرح ويتفكه بما يريد ، ولكن ما كل شىء ينشر ، وهذا الذى رآه الناس منشوراً يلصق بالأدباء سمة التسكع ويومىء إليهم بشىء من الازدراء . ومن عجيب المفارقات أن أكثر هؤلاء الأدباء ليسوا من الفقراء ، فمنهم الموظفون ذوو الدرجات العلى ، ومنهم صاحب العمل الناجح ، وفيهم ذو الفن المربح ؛ وليس كل من قاله الثراء الطائل بفقير ، وإذن فما « الأدب

والفقر شقيقان » كما قال أحدهم . والفقراء المتكعون حقيقة هم الأدعياء المتلصقون بالأدب

على أن ذاك الذى يشغل به أولئك الأدباء أنفسهم ليس فيه قطرة من ماء الظرف ، وإن كان به ماء آخر ينفع فى هذا الصيف القائظ .

أول صندوق للبريد :

كتب الأستاذ حبيب جاماتى بمجلة الصور فى « تاريخ ما أهمله التاريخ » يقول إن أول صندوق للبريد أنشأه المهدى الخليفة العباسى ، وذلك أنه رغب فى استماع شكايات رعاياه دون أن يكون بينه وبينهم وسيط ، فكان يفتح أبواب قصره فى أيام معينة من أيام الأسبوع ليدخلها من يريد بلا استئذان ، ليمثل بين يديه ويخاطبه فى الأمر الذى يشكو منه . ولكنه رأى أنه قد يكون هناك من وقع عليهم ظلم أو من يعانون فقراً ولا يجرؤون على الدخول عليه خشية أن تعقد ألسنتهم الرهبة فلا يستطيعون الإفضاء بشكواهم ، فعول على تسهيل الأمر عليهم بتيسير أسباب الاتصال به بطريق الكتابة ، فأمر أن يوضع على كل باب من أبواب القصر صندوق كبير منقوب من أعلاه مثبت إلى الحائط بمسامير ، لكى يضع فيه كل صاحب شكاية شكايته مدونة فى رق أو قرطاس ، واحتفظ هو بمفاتيح تلك الصناديق ، فكان يفتحها كل يوم بنفسه ثلاث مرات ، ويطلع على الشكايات ، ويفحصها واحدة واحدة ، وينصف أصحابها بقدر ما يستحقون الانصاف

فكان هذا أول صندوق للبريد فى التاريخ ، وكان المهدى أول من أنشأه.

والأستاذ حبيب جاماتى يكتب كثيراً من المعلومات التاريخية الطلية ، ويحلوها ويشوق إليها بأسلوب سهل نير ، تحت عنوان « تاريخ ما أهمله التاريخ » ولكن هل هذه المعلومات أهملها التاريخ ؟ ومم استقاها إذن ؟ ! ألا يوافقنى على ضرورة تغيير هذا العنوان ؟

السينما بمناسبة « المنتقم » :

كان إنتاج السينما قد كثر بمصر فى أثناء الحرب الماضية ، وعلى كثرته فات فيه القيم الفنية ، وكان ذلك انحداراً بالفن المصرى الذى نشأ من قبل ، وكان فى نشأته خيراً مما صار إليه أخيراً

وأبرز عيوب الفلم المصرى ، من حيث التأليف والإخراج ، خلوه من الفكرة ، وقصوره فى تصوير النواحى المختلفة للحياة المصرية ، وعدم طواعية الأبطال للطبيعة البشرية ، فالبطل مثلا هو أبو زيد الهلالى الذى لا يهزم ولا يخطىء ، وتكييف الحوادث بحسب ما يريد البطل الأول من المظاهر الاجتماعية ، والاعتماد فى التأثير على مؤثرات تهريجية لا على الإبداع الفنى

وقد كان الناس فى خلال الحرب ، وخاصة العمال الذين نالهم رخاء ، يبتغون التسلية والترفيه ، ولكن حال الجمهور تغيرت بعد الحرب ، لتنبه الوعى القومى ، وارتفاع نسبة المستنيرين حتى بين العامة ، فهز كتفه إزاء البضاعة المعروضة وأعرض عنها إعراضاً أيقظ أولئك المنتجين من أحلام مكاسبهم ، فقبضوا أيديهم ، وكفوا عن الإنتاج

وكان ذلك بشيراً بتطور جديد فى هذا الفن ، يلتمس فيما يجد من الأفلام . وعلى ذلك اهتممت بمشاهدة رواية « المنتقم » فوجدتها محاولة ليست بذات نصيب كبير من التوفيق ، إذ لم تتغلب على أكثر ما ذكرت من العيوب العامة الحاضرة ، ففكرتها تافهة وهى تقوم على شخص اعتدى عليه وتشبع بفكرة الانتقام ولكنه يقتنع أخيراً بأن السامح كريم

ومعمل الأدوية الذى بدأت به ودارت عليه حوادث الرواية ليس من الصور المصرية ، والأشخاص بها ليسوا من البشر فالخيرون هم الخير كله والشريرون هم ذات الشر ، وأراد البطل أن يكون أرستقراطياً حتى بعد أن عمى وخرج من العمل فكان له ما أراد . ولكن الرواية مع ذلك اعتمدت على الفن المبرز فى هدوء وانسجام وخلت من المؤثرات التهريجية ، وهذا هو فى رأيى ما يحسب لها فى التطور الجديد المتوقع لفن السينما

ولا شك أن هناك نواحى أخرى لرواية « المنتقم » ليس هنا مكان التعرض لها ، وإنما قصدت إلى بيان عيوب فى بناء قصة السينما على العموم بمناسبة عرض « المنتقم » وبيان موقف هذا الفلم من تلك العيوب ، لتبين الطريق نحو ما يرجى من التطور الجديد.

« العباسى »